البُعد الأخلاقي الإجتماعي لزيارة الأربعين بين النظرية والتطبيق

نادين يحفوفي

طالبة دكتوراه في الفقه المقارن، باحثة في الشؤون الدينية باللغتين العربية والفرنسية وأستاذة جامعية

الملخص

يتناول هذا البحث أهمية زيارة أربعين الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ويبيّن دورها في الإصلاح الإجتماعي والأخلاقي، ويعرض ما لها من أبعاد على المستويين من خلال ذكر الأبعاد وتحليلها تحليلاً موضوعياً، مستعيناً بالآيات القرآنية والأحاديث والراويات الشريفة، ومركّزاً على الجانب التطبيقي العملي من خلال ذكر مصاديق ونماذج عملية لكل بُعد من الأبعاد.

ومن حيث كونه بحثاً يدور حول الأبعاد الإجتماعية، فلقد تمّ ذكر العوامل الخمسة التي تحدّد الاختلاف بين المجتمعات والشعوب عند عالم الإجتماع الألماني «هوفستيد» لما لها من أهمية على الصعيد النظري وتطبيقها عملياً على الزيارة المليونية. واعتمد المنهج الوصفي – التحليلي في تبيان مفاصله. كما أنّه خلُص إلى نتائج عملية مهمة للزيارة وبعض التوصيات.

الكلمات المفتاحية: أبعاد، إجتماع، زيارة الأربعين، أخلاق، الإمام الحسين عليه السلام.

The social and moral dimension of the Arbaeen pilgrimage between theory and practice

Researcher: Nadine Yhafofy

PhD student in Comparative Jurisprudence

Islamic Republic of Iran

Abstract

This research deals with the importance of the visit of the forty Imam Abu Abdullah Al-Hussein, and shows its role in social and moral reform, and presents its dimensions at both levels by mentioning the dimensions and analyzing them objectively, using the Quranic verses, Hadiths and honest narratives, and focusing on practical practical aspects through male Paddles and practical models for each dimension.

In terms of research on social dimensions, the five factors that define the difference between communities and peoples in the German sociologist Hofstead have been mentioned because they are theoretically important and practically applied to the millionth visit. The descriptive-analytical approach was adopted in detail. He also concluded with important practical results of the visit and some recommendations.

Keywords: dimensions, meeting, visit forty, morals, Imam al-Husain.

المقدّمة

إعتنى الإسلام بالأخلاق عناية خاصة فهي تشكل إلى جانب العقائد والأحكام ركائزه الثلاث. وتعتبر القيم الأخلاقيّة الحميدة والتصرفات الحسنة من أهمّ أهداف بعثة الأنبياءﷺ، بل إنّما هي الهدف الأساس، فقد ورد عن الرسول الأعظم محمّدﷺ قوله: «إنّما بعثتُ لأتمّم مكارم الأخلاق»[1]. فتهذيب نفس الإنسان، والسعي لتحصيل الكمالات الأخلاقيّة والخصال الإنسانيّة من أهم الغايات في رسالة النبيّﷺ والأئمّةﷺ، وإن قول المعصومﷺ وفعله المصدر الأساس الذي نتلقّى عنه ونتعلّم الأخلاق منه، ذلك لأنّ المعصومينﷺ هم «الأسوة» والقدوة لجميع البشر على مَر العصور. وحُسن الخلق ليس من خلال التعلّم والمعرفة النظرية، بل يحتاج إلى تربية وتطبيق عملي ومواظبة. وبما أنّ الإنسان فرد من أفراد المجتمع الذي ينتمي إليه فإنّ أخلاقه ستنعكس على ذلك المجتمع، فكلّ إنسان يولد على فطرةٍ سليمة ويكون لديه القابلية لمعرفة الحقّ والباطل، فيميل إلى الحقّ والخير. ولكن هذا الاستعداد الفطري يحتاج في إظهاره وتنميته إلى التربية والتهذيب والتعليم، وللمؤثرات البيئية والإجتماعية غير الصالحة الدور الأبرز في انحرافه عن فطرته السليمة، فيميل إلى الباطل والشر.

وتعتبر عاشوراء الحسينﷺ المدرسة الإجتماعية الأخلاقية التي تجلّت فيها مكارم الأخلاق بأكمل صورها في أقوال وأفعال الإمام الحسينﷺ، وفي أقوال وأفعال أهل بيته وأنصارهﷺ الذين كانوا على خطاه. بيان الموضوع.

أكدّ المعصومونﷺ على مواصلة زيارة الإمام الحسينﷺ، فإن المتتبّع لرواياتهم التي تحثّ المؤمنين على زيارة الإمام الحسينﷺ لا يضاهيها من حيث العدد أي روايات أخرى في الحث على زيارة باقي المعصومينﷺ، لاسيما الزيارات المخصوصة كزيارة الأربعين التي هي إحدى علامات المؤمن الخمس، لما لهذه الزيارة من أبعاد على شتى الأصعدة، الإجتماعية، الأخلاقية، العقائدية، الثقافية وغيرها. ويمكن إستنباط عدّة أسباب دعت بهم إلى ذلك منها: إظهار أنّ مظلومية الإمام الحسينﷺ رمزٌ لمظلومية الأئمةﷺ جميعاً كما ورد عن الإمام علي بن موسى الرضاﷺ: «يا بن شبيب إن كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن عليﷺ فإنه ذبح كما يذبح الكبش وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيهون، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتلهﷺ[2]. ومنها كثرة الكرامات التي جعلها الله (سبحانه وتعالى) للحسينﷺ ولزائره، وكذلك ما لهﷺ من دور مهم في إحياء الأمم والمجتمعات البشرية عبر التعلّم منه الحياة العزيزة الكريمة، فالمجتمع الذي يرتبط بالحسينﷺ يكون مجتمعاً حيّاً يحيا بمبادئ الحسينﷺ الذي هو حيٌّ عند الله (تعالى) فإنّ الشهداء أحياء عند ربّهم يرزقون فكيف بسيّد الشهداءﷺ، قال الله (سبحانه وتعالى): ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[3] وفي الزيارة الشعبانية لسيد الشهداءﷺ تأكيد على هذا المعنى «أشهد أنَّكَ قُتِلْتَ وَلَمْ تَمُتْ، بَلْ بِرَجَآءِ حَيَاتِكَ حَيِيَتْ قُلُوبُ شيعَتِكَ»[4].

أسئلة البحث: السؤال الأصلي الذي تصدى البحث الإجابة عنه: ما هي الأبعاد الإجتماعية الأخلاقية لزيارة الأربعين؟

أما الأسئلة الفرعية فهي:

١. ما هي أدّلة إستحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام؟
٢. ما هي أدّلة إستحباب زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام؟
٣. هل هناك ثواب في قصد الإمام الحسين عليه السلام مشياً على الأقدام؟
٤. ما هي أهمية زيارة الأربعين؟
٥. ما هي الأبعاد الإجتماعية والأخلاقية لزيارة الأربعين؟

المنهج المتّبع: بما أنّ البحث يتطلب عرض الأبعاد الإجتماعية والأخلاقية للزيارة الأربعينية، وعرض بعض الأدلة الدالة على مشروعيتها، وحيث أنّنا مارسنا التحليل فكان المنهج المتّبع هو المنهج الوصفي – التحليلي.

فرضية البحث: بيان الأبعاد الإجتماعية والأخلاقية لزيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام.

هدف البحث: هو خطوة لتوضيح أنَّ الإصلاح الحسيني الإجتماعي الأخلاقي حيٌّ متجدّد.

١. أدّلة إستحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام

تستحب زيارة الإمام الحسين عليه السلام إستحباباً مؤكّداً ويمكن تقسيم الروايات حسب ما وردت في مصادرها إلى طائفتين:

أولاً - طائفة دلّت على إستحباب زيارته عليه السلام مطلقاً:

والمراد بالإطلاق أي إستحباب زيارته في كلّ يوم وفي كل شهرٍ من السنة. أَمَّا فِي كُلِّ شَهْرٍ فَلِمَا وَرد عَنِ الإمام الصّادِقِ عليه السلام: (من زَارَ الْحُسَيْنَ عليه السلام فِي كُلِّ شَهْرٍ كَانَ لَهُ ثَوَابُ مِائَةِ أَلْفِ شَهِيدٍ مِنْ شُهَدَاءِ بَدْرٍ)[٥]. وَأَمَّا زِيَارَتُهُ عليه السلام فِي كُلِّ يَوْمٍ فَلِمَا روي أَنَّ الصَّادِقَ عليه السلام قَالَ لِسَدِيرِ بْنِ حَكِيمٍ: (يَا سَدِيرُ أَتَزُورُ الْحُسَيْنَ عليه السلام فِي كُلِّ يَوْمٍ قُلْتُ لَا قَالَ مَا أَجْفَاكُمْ أَفَتَزُورُهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ قُلْتُ لَا قَالَ أَ فَتَزُورُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ قُلْتُ قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ قَالَ مَا أَجْفَاكُمْ بِالْحُسَيْنِ عليه السلام أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ للهِ (تَعَالَى) أَلْفَ أَلْفِ مَلَكٍ شُعْثٍ غُبْرٍ يَبْكُونَهُ وَيَزُورُونَهُ وَلَا يَفْتُرُونَ وَمَا عَلَيْكَ يَا سَدِيرُ أَنْ تَزُورَ الْحُسَيْنَ عليه السلام فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً قَالَ فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فَرَاسِخُ كَثِيرَةٌ فَقَالَ إِصْعَدْ فَوْقَ سَطْحِكَ ثُمَّ الْتَفِتْ يَمْنَةً وَيَسْرَةً ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ تَنْحُو نَحْوَ الْقَبْرِ وَتَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه)[٦].

ثانياً - طائفة دلّت على إستحباب زيارته عليه السلام في مناسبات خاصّة منها الأربعين:

والمراد بالمناسبات الخاصة أي المناسبات الدينية العظيمة مثل ليلة الجمعة، ليلة القدر، شهر رمضان، ليلة عيد الفطر والأضحى، ليلة عرفة ويومه، في النصف من رجب، في النصف من شعبان، في العاشر من محرم، وفي العشرين من صفر وغيرها[٧].

٢. الأدّلة الدالة على إستحباب زيارة الأربعين

ومن الروايات التى دلّت على تأكد إستحباب

زيارته عليه السلام يوم الأربعين ما يلي: منها: ما دلّ على أنّها من علامات المؤمن. ورد عنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (عَلَامَاتُ الْمُؤْمِنِ خَمْسٌ صَلَاةُ الْخَمْسِينَ وَزِيَارَةُ الْأَرْبَعِينَ وَالتَّخَتُّمُ بِالْيَمِينِ وَتَعْفِيرُ الْجَبِينِ وَالْجَهْرُ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)[٨].

ومنها: ما ورد في كيفية زيارته عليه السلام يوم الأربعين عند ارتفاع النهار. عَنْ صَفْوَانَ الْجَمَّالِ قَالَ: (قَالَ لِي مَوْلَايَ الصَّادِقُ عليه السلام فِي زِيَارَةِ الْأَرْبَعِينَ- تَزُورُ ارْتِفَاعَ النَّهَارِ وَتَقُولُ السَّلَامُ عَلَى وَلِيِّ اللَّهِ وَحَبِيبِهِ وَذَكَرَ الزِّيَارَةَ إِلَى أَنْ قَالَ وَتُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَتَدْعُو بِمَا أَحْبَبْتَ وَتَنْصَرِفُ)[٩].

ومنها: ما ورد من إستحباب زيارته عليه السلام على لسان كبار قدماء علماء الطائفة. ذكر الشيخ المفيد (قدّس سرّه) في كتابه مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة، والشيخ الطوسي (قدّس سرّه) في مصباحه، أنّه في اليوم العشرين من شهر صفر كان رجوع حرم سيّدنا أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام من الشام إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ورضي عنه من المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر أبي عبد الله عليه السلام فكان أول من زاره من الناس، ويستحب زيارته عليه السلام فيه وهي زيارة الأربعين[١٠].

٣. في ثواب المشي إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام

وردت الروايات الكثيرة التي أكّدت الثواب والأجر الجزيل على القصد ماشياً إلى كربلاء المقدّسة حيثُ ضريح الإمام الحسين عليه السلام. منها: عنْ أَبِي الصَّامِتِ قَالَ: (سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَهُوَ يَقُولُ مَنْ أَتَى قَبْرَ الْحُسَيْنِ مَاشِياً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ دَرَجَةٍ فَإِذَا أَتَيْتَ الْفُرَاتَ فَاغْتَسِلْ وَعَلِّقْ نَعْلَيْكَ وَامْشِ حَافِياً وَامْشِ مَشْيَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ فَإِذَا أَتَيْتَ بَابَ الْحَائِرِ فَكَبِّرْ أَرْبَعاً ثُمَّ امْشِ قَلِيلاً ثُمَّ كَبِّرْ أَرْبَعاً ثُمَّ ائْتِ رَأْسَهُ فَقِفْ عَلَيْهِ فَكَبِّرْ أَرْبَعاً وَصَلِّ عِنْدَهُ وَسَلِ اللهَ حَاجَتَكَ)[١١].

ومنها: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْقَاضِي قَالَ: (دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي غُرْفَةٍ لَهُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ مَنْ أَتَى قَبْرَ الْحُسَيْنِ مَاشِياً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ وبِكُلِّ قَدَمٍ يَرْفَعُهَا وَيَضَعُهَا عِتْقَ رَقَبَةٍ مِنْ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ)[١٢]. مما سبق تبيّن أنّه يستحب القصد ماشياً إلى كربلاء الحسين عليه السلام فكلما زادت الخطوات كلّما زاد الأجر والثواب، وأنّ لهذه الخطوات المباركة آثاراً دنيوية وأخروية على قلب القاصد.

٤. أهمية زيارة الأربعين

إن زيارة الأربعين لها أهمية عظيمة، فهي إحدى علامات المؤمن الخمس. وتكمن أهميتها أيضاً في أمور عديدة منها:

أولاً: هي عبارة عن تجديد العَهد والوَلاء وإظهار المحبة لآل الرسول صلى الله عليه وآله، فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: (إِنَ لِكُلِ إِمَام عَهْداً فِي عُنُقِ أَوْلِيَائِهِ وَشِيعَتِهِ وَإِنَّ مِنْ تَمَامِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَحُسْنِ الْأَدَاءِ زِيَارَةَ قُبُورِهِمْ فَمَنْ زَارَهُمْ رَغْبَةً فِي زِيَارَتِهِمْ وَتَصْدِيقاً بِمَا رَغِبُوا فِيهِ كَانَ أَئِمَّتُهُمْ شُفَعَاءَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[١٣]. ومن خلال تجديد العهد للإمام الحُسين عليه السلام عند قصده في أجواء الأربعين هناك بركات وفيوضات تحصُل للزائر الحسيني وهي

عبارة عن آثار دنيويةٍ وأخروية. فإنّ زيارته تَزيد فِي الرِّزْقِ وَتمدُّ فِي الْعُمُرِ وَتدْفَعُ مَدَافِعَ السَّوْءِ[١٤]. وَتدْفَعُ الْهَدْمَ وَالْغَرَقَ وَالْحَرَقَ وَأَكْلَ السَّبُعِ[١٥]. كما تُغفر ذنوب منْ زارَه وتُزاد حسناتَه وتُقضى حوائجَه[١٦] ويُكتب له ثواب ألف حجّة وألفَ عمرة ويكون في رحمةِ الله (تعالى)[١٧]. ويحظى زائره بدعاء الأئمةعليهم السلام له مع الزهراءعليها السلام والرسولصلى الله عليه وآله[١٨] ويأمن يوم الفزع الأكبر[١٩].

وهذا الخير الكثير لاريب فيه لكلّ من زائر المولى أبي عبد اللهعليه السلام في أي وقت من الأوقات وتتأكد هذه البركات في زيارة الأربعين بسبب كثرة الأجواء الروحية الحزينة وتعدد الشعائر المباركة وكثرة الأدعية الجماعية.

ثانياً: إنّ زيارةَ الأربعين عبارةٌ عن أكبر إمتثال عمليّ زمانيّ لأمرِ الإمام أبي عبد الله الصَّادقعليه السلام لإحياء أمر أهل البيتعليهم السلام. ورد عن الإمام الصَّادقعليه السلام: «أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا»[٢٠]. فإنّها إحياء للأهداف التي إستُشهد من أجلها الإمام الحسينعليه السلام، وتلك الحشود المليونية التي تفد إلى كربلاء المقدّسة في موسم الأربعين تعطي صورة للعالم أجمع بأنّ الأهداف التي من أجلها إستشهد الإمام الحسينعليه السلام ما زالت حيّة.

ثالثاً: إنّ ما يميّز زيارة الأربعين عن غيرها من الزيارات أنّها تأتي في شهر صفر، وهو شهر أحزان الشيعة على آل الرسولصلى الله عليه وآله، فإنّه يأتي مباشرةً بعد شهر محرّم الحرام، شهر إحياء المجالس الحسينية والبكاء على مصاب الإمام الحسينعليه السلام وما جرى على حرائر الرسالة (عليهن أفضل السلام)، فتكون بركات شهر محرّم قدْ هيأت قلبَ المؤمن لأنْ يزور الإمام الحسينعليه السلام عارفًا بحقّه ومظلوميته، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ ما يرافق هذه الزيارة المليونية في شكلها الحالي من أجواء روحانية خاصة من حين نزوله أرض العراق حتى وصوله إلى داخل حرم الإمام الحسينعليه السلام. وهذه الأجواء الفريدة لا تعاش في المناسبات الأخرى الفرِحة كالزيارة الشعبانية وغيرها.

رابعاً: إنّ زيارة الأربعين بصورتها الحالية وما يرافقها من مواكب، مجالس، وشعائر متعدّدة لاسيما شعيرة المشي الحاصلة على الطرقات المؤدية إلى كربلاء المقدّسة، ومن خلال التنظيم والأمن المتواجد الذي تقوم به الجهات القيمة على الزيارة من عتبات مقدّسة وغيرها، أعطت صورة للعالم أجمع أنّ الإمام الحسينعليه السلام هو الوحيد في العالم الذي استطاع أنْ يجمعَ هذه الملايين في آنٍ واحد، في مكانٍ واحد، تحت شعارٍ واحد وهو «لبيك يا حُسين» دون نزاعات وخلافات وبشكل حضاري وسلمي.

خامساً: إنّها مليئة بالبركات، الفيوضات والخيرات على شتّى الأصعدة، ولها أبعاد فكرية، عقائدية، إجتماعية، أخلاقية، إعلامية وغيرها.

٥. الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية لزيارة الأربعين

مقدّمة

لا يمكن للإنسان أن يحيا في عزلة عن الآخرين، فالإنسان هو مخلوقٌ إجتماعيٌّ يحيا في مجتمعٍ ينتمي إليه ويكون أحد أفراده ومكوناته. كذلك لا يمكن أن نرى أخلاق الإنسان لوحده دون تواجده مع أناسٍ آخرين، فلو وضعنا إنساناً في مكانٍ معزولٍ عن الآخرين لا نستطيع أن نصفه بالصادق أو الكاذب، بالمتواضع أو المتكبر، بالبخيل أو الكريم؛ إذْ أنّ الصفات والقيم الأخلاقية التي يتحلى فيها الإنسان عبارة عن علاقة بينه وبين نفسه، وبينه وبين الآخرين. فالأخلاق لا توجد إلّا داخل مجتمع يتفاعل أفراده فيما بينهم؛ لذا عند دراسة البُعد الأخلاقي لزيارة الأربعين، فإنّ البُعد الإجتماعي لاينفك عنه، والسبب في ذلك يعود إلى أنّ بناء الشخصية المؤمنة في بُعدها الأخلاقي الروحي هدفه تأهيل هذه الشخصية للقيام بوظيفتها الشرعية تجاه ربّها، نفسِها وتجاه مجتمعِها، ولا يمكن عزلهما عن بعضهما البعض.

ومن الأبعاد الإجتماعية والأخلاقية لزيارة الأربعين:

أولاً: التفاعل الفكري والمعرفي بين الحضارات والمجتمعات

تتميّز المجتمعات الإنسانية بميزات ثقافية وحضارية متنوّعة، تشترك في بعضها وتختلف في أخرى. والميزات المختلفة تعكس قيم وعادات وتقاليد كلّ مجتمع إنساني. فالإنسان عندما يولد في هذه الدنيا لا اختيار له في تحديد لونه، أو أسرته أو البلد الذي ينتمي إليه. فيجد نفسه ضمن مجتمع يحيطه وعادات وتقاليد تحكم ذلك المجتمع الذي وُجد فيه. وكلّ مجتمع هو نتاج ثقافته. ومن الدراسات التي حاولت بيان عوامل ومجالات الاختلاف بين الشعوب دراسة لعالم إجتماع ألماني اسمه «جبريت هوفستد»، وأبرز نتائج الدراسة التي توصل إليها تتمثل في أنّ هناك خمسة عوامل تحدّد الاختلاف بين الأمم والشعوب.

أ - العوامل الخمسة التي تحدّد الاختلاف بين الأمم والمجتمعات حسب نظرية «هوفستد»

١. **المسافة الاجتماعية (Power Distance):** تهتم المسافة الإجتماعية بمقدار العلاقة بين مختلف الأفراد في المجتمع، إذْ يحدُث أنّ بعض المجتمعات تقيم وزناً كبيراً لبعض الأشخاص بناءً على قدرهم الإجتماعي بحكم السنّ أو المركز الإجتماعي أو القدرة المالية، والبعض الآخر لا يقيم وزناً كبيراً لمثل هذه العوامل الإجتماعية. مثلاً تهتم المجتمعات الشرقية والعربية خاصة بالإختلاف في السنّ وتظهر احتراماً كبيراً للأكبر سنّاً، في حين أنّ مجتمعات أخرى مثل المجتمعات الإسكندنافية لا تفعل ذلك وتحاول إعطاء الجميع الأهمية نفسها والتقدير ذاته بغض النظر عن السنّ والمكانة والمركز والقدرة المالية.

٢. **الفردية والجماعية (Group Attachment):** وتهتم بقياس قُدرة الأفراد على الانفراد التامّ بأفعالهم بغضِ النظر عن الآخرين، وبالتالي فإنّ

المجتمعات التي تتميز بالفردية يكون الأفراد فيها قادرين على فعل ما يُريدون بغضّ النظر عمّا يعتقده الآخرون، في حين أنّ المجتمعات التي تنتشر فيها الروح الجماعية يتجه أفرادها غالباً إلى الاهتمام كثيراً بمحيطهم الإجتماعي، ما يؤثّر في قراراتهم وأفعالهم، فمثلاً إن مجتمعات أميركا اللاتينية تسجّل أقل النقاط في البُعد الفردي نظراً إلى كونها تعطي القيمة الأكبر لقيمة الجماهير، بينما تسجّل الولايات المتحدة أعلى النقاط في هذا البعد لناحية الفردية ومنح الشخص أقصى درجات الفردية، لذا يعرف المجتمع الأميركي لدى عند علماء الإجتماع بأنّه مجتمع فردي، ولا شكّ في أنّ المجتمعات المُسلمة هي مجتمعات جمعية لأنّ ثقافتها الإسلامية قائمة على ذلك، مثل الصلاة جماعة والحجّ وصلة الرحم والتكاتف والتكافل الإجتماعيين.

٣. **الذكورة والأنوثة (Gender Association):** والمقصود أن المجتمعات الذكورية تركّز على معايير النجاح الرجولية مثل النجاح والتفوّق وزيادة الثروة، في حين أنّ المجتمعات الأنثوية تعرّف معايير النجاح بالعلاقات الإجتماعية وجودة الحياة، وتظهر اليابان بكونها أكثر الدول ذكورية، والسويد أكثر الدول أنثوية، ولا شكّ في أنّ المجتمعات العربية في معظمها مجتمعات ذكورية، لكنها في الوقت نفسه تهتم بالعلاقات الإجتماعية وجودة الحياة وتعتبر المرأة أهم عنصر داخل البيت، مع الاختلاف بين أسرة وأخرى.

٤. **تجنّب المجهول (Uncertainty Avoidance):** وهنا يتم تقويم المجتمعات بحسب قدرتها على التعامل مع التجديد والتغيير من ناحية، والقبول بالمغامرات أو تجنبها من ناحية أخرى، والاختلاف في التأكيد على وجوب مراعاة القواعد الإجتماعية والعملية، والتعامل مع الغريب والأجنبي، وقد احتلت مجتمعات البحر الأبيض المتوسط واليابان مركز الصدارة بحسب هذا المعيار، والواقع أنّ التاريخ يُثبت أنّ الأمّة التي تحب المغامرة وارتياد المجهول هي في الغالب الأمّة التي يمكن أن تتقدّم وتبني حضارة، وكان ذلك ديدن المسلمين في عصورهم الزاهية.

٥. **النظر إلى المدى القريب والمدى البعيد (Time Orientation):** وهذه خاصية تعكس الاهتمام بالحاضر والمستقبل مقارنة بالماضي ومدى تأثير ذلك في القرارات، وثمة مجتمعات تنتشر فيها ثقافة «الآنية» وعبارات مثل عش يومك واصرف ما في الجيب يأتك ما في الغيب[٢١].

وهذه الدراسة تخلص إلى أنّ المجتمعات، حتى في البلد الواحد، تختلف عاداتها وتقاليدها وقيمها، وبالتالي على الإنسان أن يتعرف إلى الشعوب الأخرى وعاداتها وتقاليدها وقيمها ليتعايش معها ويفهم سلوكها على نحو يمكنه من تحسين الروابط وتقويتها معهم والوصول إليهم على نحو حضاري ومقبول، وبشكل لا يتعارض مع الأحكام الشرعية والقيم الأخلاقية التي وضعها الله (سبحانه وتعالى) للبشرية.

ب- تطبيق نظرية «هوفستد» على زيارة الأربعين

وإذا أردنا تطبيق عواملها الخمسة على زيارة الأربعين:

١. **المسافة الاجتماعية**: يحصل أثناء الزيارة تفاعل وتلاقح فكري وإجتماعي بين المجتمعات والشعوب، فإنّ زوار الأربعين ينتمون إلى مجتمعات وبلدان مختلفة، فتتعدّد عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم وكيفية تعاطيهم. فمنهم العرب، ومنهم الشرقيون ومنهم الغربيون. وتختلف طريقة تعامل كل منهم بحسب مجتمعه، ولكن الذي يوحدهم هو قصد كربلاءالمقدّسة وزيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام.

فالذين - حسب مجتمعهم - يعطون الأولوية والأهمية لكبار السن سيتعلمون من خلال رؤيتهم لأفراد يعتنون بالزوار الصغار بأنّ الصغير يجب إحترامه وإعطاؤه أهمية ونوعاً من الحرية في إعطاء رأيه وطريقة تعبيره وقصده للإمام عليه السلام. فالزائر الصغير سيكبر يوماً ما ويصبح كبيراً ولن ينسى معاملة الزائرين له، أو المضيفين... والعكس صحيح أيضاً، فالمجتمع الذي يساوي بين جميع الفئات دون إعطاء الأولوية لفئة على أخرى سيلاحظ أنّه في كثير من الأحيان يجب تقديم الأولوية لبعض الفئات ككبار السنّ لعجزهم، أو لضرورة ما تقتضي ذلك.. وهذا التبادل والتعرّف على حقيقة المجتمع الذي ينتمي إليه المقابل لا يحصل فقط عبر المناقشة وتبادل الأحاديث، بل قد يحصل في كثير من الأحيان من خلال المواقف التي يراها الزائر أو يقوم بها أثناء مشيه وقطعه للمسافة، أو أثناء إستراحته في مضيف ما أو حسينية أثناء السير والعروج إلى كربلاء الحسين عليه السلام...

٢. **الفردية والجماعية**: تعطي زيارة الأربعين آثاراً إيجابيةً على الصعيدين الفردي والإجتماعي.

فهي تعلّم الإنسان المشارك في الزيارة (زائراً، خادماً، وغير ذلك) أنّ الزيارة هي زيارة جماعية يجب مراعاة الجماعة فيها خاصةً مع تواجد أعداد كبيرة وملايين من الأفراد الوافدين إلى كربلاء المقدّسة بل حتى المتواجدين فيها. ومن جمالية هذه الزيارة على الصعيد الجماعي أنّ هناك أخلاقيات عالية لأهالي العراق نشأوا عليها وما زالوا متمسكين فيها، ومنها أنّهم يؤثرون الزوار الآخرين على أنفسهم، فمنهم من لا يخرج من بيته إفساحاً للمجال أمام الوافدين فيفضّل الخدمة على الطرقات وفي المواكب، ومنهم من ينتظر هدية من الله (تعالى) يرسلها إليه وهي عبارة عن استضافة لزوار في بيته أو خدمة توصيل زائر من مكان إلى مكان... بل تجد أنّ أفراد العائلة الواحدة أو العشيرة الواحدة يداً واحدةً صغاراً وكباراً، يخدمون زوار المولى أبي عبد الله وأخيه أبي الفضل العباس عليهما السلام حباً فيهما، وترى في عيونهم عشقاً لا تراه في عيون الآخرين...عشقاً لله يتجسّد صوراً حية وعملية عبرَ التكاتف والسباق في الخدمة الجماعية وهذه الصور لا ينساها كلّ من يراها بل تُعلّم من انتمى إلى مجتمع قائم على الفردية أن في الجماعة القوة والعطاء، في الجماعة البذل والتفاني، في الجماعة السرعة والمروّة... مع العلم أنّ العمل الجماعي لا يعني أن لا يعطى العمل الفردي اهتماماً بل قد يختص البعض بأعمال فردية حسب اختصاصاتهم وقدراتهم، كالطبيب الذي يخدم الزوار، أو الخادم الحسيني الذي يحافظ

على نظافة الطرقات المؤدية إلى كربلاء المقدّسة أو الذي ينقل الزائرين عبر سيارته تطوعاً...ولكن في الزيارة حتى هؤلاء الذين يخدمون بشكل فرديّ يدفعون الزائر الذي يراهم يخدمون بتفانٍ إلى تمني مساعدتهم إن أمكن ذلك. فكم من زائر تصدى تطوعاً لمساعدة الخادم الذي ينظّف الطريق تسهيلاً لحركة المشاية، وكم من صاحب مضيف قدّم لجاره صاحب المضيف الآخر ما ينقصه من عدّة لتحضير الطعام بسبب تعثر وصول المواد بسبب الازدحام وهكذا...

٣ . **الذكورة والأنوثة:** من أبعاد الزيارة أنها تعلم الزائر أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو قبلة للعاشقين، قبلة لمن أراد أن يصل إلى محضر الحق (تعالى)، قبلة لمن أراد أن يتعرف على جنّة الله (تعالى) على الأرض.. فالإمام وأخوه أبو الفضل العباس عليهما السلام لم يميزوا يوماً ما بين الزائر رجلاً أو إمرأة.

إنّ الزيارة هي للجميع من دون استثناء. فقلب الإمام عليه السلام مفتوح لمن قصده وأراده. فالزوار- نساءً ورجالاً - لهم الحق في المشي والقصد شرعاً وعرفاً، لهم الحق في الدخول إلى العتبتين المقدّستين والوصول إلى الشباك عبر تنظيم رائع من قبل القيمين على العتبتين، والتقسيم بين مداخل كل من الرجال والنساء مراعاة للتنظيم والناحية الشرعية. كذلك في مجال الخدمة الحسينية، فإن خدّام الإمام الحسين عليه السلام هم من الصنفين سواء في الحسينيات أو في المضيف أو في العتبتين أو في البيوت المفتوحة العامرة حباً لاستقبال الزائرين... نعم، هناك مراعاة للمسائل الشرعية من حجاب وغيره ممّا يجب مراعاته وهذا هو المطلوب، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام إستشهد لأجل الأمر بالمعروف وإقامة الصلاة والحفاظ على الإسلام... وأُخته مولاتنا العقيلة زينب عليها السلام رغم كلّ ما جرى عليها من مصائب قدّمت للمرأة دروساً في العفة والطهارة عبر العصور حتّى يومنا هذا وأن تكون زينبية كما أرادها الله (تعالى)... لذلك تجد في هذه الزيارة أن المرأة الزائرة حتى لو كانت من دين آخر كالمسيحية تضع الحجاب أثناء زيارتها إحتراماً وتقديساً لحرمة الزيارة بشكل عام ولخصوصية الحرمين بشكل خاص.

٤ . **تجنّب المجهول:** طبيعة الإنسان يتجنّب المجهول بل يخافه حتّى أنّ الكثير من الناس يخافون من القيام بأمرٍ ما لأنّهم لم يقوموا به سابقاً أو بسبب الأعداد الكبيرة.

وما يميّز زيارة الأربعين رغم الاختلافات بين الشعوب أنّ لا وجود فيها للمجهول أو لخوفٍ من مجهول ما، لأنّ هذه الزيارة بالذات تعطي اطمئناناً عجيباً لكلّ من يشارك فيها، فينام الزائر عند أناس لا يعرفهم من قبل قد استضافوه على حبّ الإمام الحسين عليه السلام، ويأكل من طعامٍ يوزّع على الطرقات لم يذقْه من قبل أو يعرف محتواه، ويشرب ويمشي في طريق لم يسلكها من قبل، ويتكلّم مع شعوب لم يرها من قبل، بل يتواصل عبر إشارة، إبتسامة أو حركة دون معرفة سابقة وهذا ما لا يتم عادةً بين البشر، حتّى أنّ البعض يمارس أشياء لم يسبق له ممارستها كالجلوس على الأرض تحت أشعة الشمس الحارقة. كلّ هذه الأمور كانت مجهولة لديه قبل مشاركته في زيارة الأربعين لأول مرة ولكن حبّ أبي عبد الله

الحسين(ع) دفعه لأن يحب هذا المجهول الذي لا يراه مجهولاً بل هناك لذة في ممارسته والقيام به... وكل ذلك بسبب البركات المعنوية المحيطة بهذه الزيارة سواء عَلِمَ بها الزائر أم لم يعْلَم، وحقيقة هي عبارة عن نفحات حسينية تحيط بجميع من تواجد في موسم الزيارة، هذه النفحات تصل إلى الجميع، وتعطي آثارها وتجعل من الخوف اطمئناناً، ومن التعب راحةً ولذة، ومن المسير معراجاً...

٥. **النظر إلى المدى القريب والمدى البعيد:** إن للزيارة المليونية آثاراً على المَدَيَيْن القريب والبعيد، بل إنّها تعكس الماضي، الحاضر والمستقبل، فالإمام الحسين(ع) باقٍ ما بقي الليل والنهار، هو سرّ الوجود، فإنّ الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء... وما دام الإمام الحسين(ع) موجوداً هناك زيارة وزائرون رغم كلّ الصعوبات والمشقات، رغم العوامل المتعددة الإقتصادية والمعيشية، بُعد المكان، المرض وغيره..

إنّ المشاركة في هذه الزيارة المقدّسة تعكس الآنية (المدى القريب) والمستقبلية (المدى البعيد) معاً. فكم من باذلٍ بذَل كلّ ما لديه وصرَف ما في جيبه على محبة الإمام الحسين(ع) ولم يفكّر بغده، وكم من فقير قتّر على نفسه خلال العام وحرَم نفسه لكي يجمع ما تبقى من معاشه بغية المشاركة في إطعام الزائرين، وكم من غنيّ وتاجرٍ ترك تجارته وأقام لمدة شهر وأكثر في حسينيةٍ يخدُم الزائرين تاركاً وراءه أعماله وربحه وتجارته...وكم من مريضٍ قصد ماشياً رغم أوجاعه ناسياً لها قاصداً حبيبه، وكم من جريحٍ مقطّع اليدين أو الرجلين تعالى على جراحاته بل نسيها مواساةً لجراحات الإمام والعباس(ع)... كلّ هذه الصور حاصلة بسبب قُدسية الهدف المقصود والمنشود، ألا وهو الوصول إلى حرم الإمام الحسين(ع). صحيح أنّها حسب الظاهر تصرفات آنية وقتية إلّا أنّ حقيقتها تصرفات نابعة عن عمق المعرفة والحب والعشق الحسيني، تصرّفات لها آثارٌ على كلّ المستويات القريبة والبعيدة، الدنيوية والأخروية، فإنّ العارف بالإمام الحسين(ع) لا معادلات مادية في نظره، نعم إصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب. فكل المعادلات تسقط في نظر الزائر والخادم وغيرهما، لأنّ هناك معادلة واحدة ألا وهي الحب والعطاء والتفاني.... ومع الحبّ تسقط المعادلات المادية سواء وجع، تعب، مرض، غنى، فقر، وعجز.... أما على المستوى البعيد، فإنّ لهذه الزيارة بركات ولو لم يعلمها من ضحّى وتعب وتفانى. هذه البركات على نوعين دنيوية (مادية ومعنوية) وأخروية وكلّها بإذن الله (تعالى) حتمية الوقوع. من بركاتها الدنيوية المادية الزيادة في الرزق، وشفاء المرضى، الحفظ في العيال والصحة والمال. ومن المعنوية، التقرّب إلى الله (تعالى)، تقوية الإرتباط بالإمام(ع)، وغيرها. أمّا الأخروية، فالأمان من العذاب، نيل شفاعة الامام(ع) ودخول الجنّة. كلّ هذه سينالها القاصد والوافد إلى حرم العشق الإلهي...

ثانياً: نشر ثقافة العمل التطوعي

يعتبرُ العمل التطوعيّ من أحد المصادر المُهمّة للخير لأنّه يساهمُ في عكسِ صورةٍ إيجابيّة عن المجتمع توضحُ مدى ازدهاره وانتشار الأخلاق

الحميدة بين أفـراده، لذلك يعدُّ العمل التطوعيّ ظاهرةً إيجابيّةً ونشاطاً إنسانيّاً مُهمّاً، ومن أحد أهمّ المظاهر الإجتماعيّة السّليمة، فهو سلوكٌ حضاريّ يُساهمُ في تعزيزِ قيم التّعاون ونشر الرّفاه بين سُكّان المُجتمع الواحد[٢٢]. وكلّ عملٍ يقومُ به الإنسان له دافعية، ودافعية العمل التطوعي هي إما الإنسانية أو الدين. فهو عملٌ يقوم به المرء بكامل إرادته واختياره دون إلزام أوفرض من أحد. ويقسّم العمل التطوعي إلى قسمين، هُما: العمل التطوّعي الفرديّ والعمل التطوّعي المؤسساتي.

أ. **العمل التطوّعي الفرديّ**: هو ما يقوم به شخص بذاته وبرغبة منه، مثل المُعلّم الذي يُخصّص من وقته لمراجعة دروس بعض الطلبة المحتاجين مجاناً، والطّبيب الذي يمنح من وقته ليُعالج الفقراء مجاناً. أقسام العمل التطوعي الفرديّ: يُقسّم العمل التّطوعي الفرديّ إلى مستويين، هُما:

٢. **مستوى السلوك التطوّعي**: وهو زمرة التصرّفات التي يقوم بها الشّخص استجابةً وردّ فعل لأمر طارئ، أو لموقفٍ إنسانيّ حصل، كأنْ يهرع المرء لإسعافِ مُصابٍ إثر حادثٍ حصل، أو يُسرِع لإنقاذ غريق، وفي هذه الحالات يقوم المرء بهذه الأفعال نتيجةَ مبادئ وغاياتٍ أخلاقية أو إنسانيةٍ أو غيرها، دون التفكير بمقابلٍ ماديّ.

٣. **مستوى الفعل التطوّعي**: وهو ما يقوم به الشّخص برغبةٍ منه بعدَ تفكيرٍ دون أن يكون استجابةً لأمرٍ طارئ، كمن يشتركُ في أعمال تطوعيّة تمتاز بالاستمراريّة، كالتطوّع في محو الأميّة وتعليم كبار السن مثلاً، أو كمن يتبرّع لصالح جمعياتٍ خيرية تُعنى بكبار السنّ أو الأيتام، أو كمن يطوّع فِكره لأجل الحديث الدائم عن قضيّة معينة للتوعية بها.

ب. **العمل التطوّعي المؤسّساتي**: ويُعدُّ ذا تماسكٍ واستمرارٍ أعلى من العمل التطوّعي الفردي، ويكون غالباً أكثر تنظيماً مما يجعلُ تأثيره منتشراً على مدى كبير في المُجتمع، حيثُ يتطوّع الأفراد ضمن إطارٍ مؤسسي خيري أو تطوّعي ليُشاركوا في خدمة مجتمعهم في المجال الذي يرون فيه رغبتهم وخبرتهم[٢٣].

وإذا نظر الباحث إلى ما يجري في زيارة الأربعين، يجد أنّها تفعّل بشكلٍ كبيرٍ وضخمٍ العمل التطوّعي بل إنّ التطوع هو أبـرز ركائزها بل من أسباب تميّزها وفعاليتها في عصرنا الحالي. والسبب وراء هذا الإقبال الذي لا مثيل له على التطوّع أنّ هذه الزيارة المباركة تمتلك خلفية أساسية وهي الخلفية الدينية، ويرتبط بهذه الخلفية عدّة عوامل منها العامل الإيماني الروحي الغيبي، والمراد به العلاقة مع الإمام الحسين عليه السلام، ومنها العامل الفكري والمراد به ما هو مرتكز عند المشاركين حول الخدمة الحسينية وفضلها وآثارها الدنيوية والأخروية على كلّ من يقدّم خدمة لوجه الله (تعالى) على محبة الإمام الحسين عليه السلام، ومنها العامل المجتمعي إن صحّ التعبير، فـإنّ المجتمع العراقي بالذات لديه هذه الخاصية وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدلُّ على مدى ارتباط هذا المجتمع بأهل البيت عليهم السلام ومدى تضحياتهم في سبيلهم فيُنشئون أطفالهم منذ الصغر على البذل والتطوع في سبيل الإمام عليه السلام. وهذه العوامل المتعدّدة تشكّل في الواقع

الدافع الأساسي في تحريك الناس على التطوّع.

وعند إستقراء أشكال التطوّع الأربعينيّ، يجد المُستقرئ أنّ جميع أشكال العمل التطوّعيّ موجودة، من العمل التطوعي الفرديّ بمستوييه إلى العمل التطوعيّ المؤسساتيّ.

نماذج من العمل التطوّعي في زيارة الأربعين

أ - العمل التطوّعيّ الفردي

١. **على مستوى السلوك التطوعي**: تجد الزائر يُسرع لإنقاذ شخص مغمى عليه من تعب المشي بشكل تلقائي، وآخر يقدّم خدمة توصيل الزوار بسيارته إلى أحد الأعمدة الموصلة إلى كربلاء المقدّسة، وشخص يرشد زائراً إلى مكان الوضوء، وهكذا.

٢. **على مستوى الفعل التطوعي**: فالنماذج كثيرة كقارئ العزاء الذي يتصدى لقراءة المجالس في الحسينية التي نزل ليستريح فيها أثناء سيره، وكأصحاب المواكب الذين يقدّمون خدماتهم من خلال تأمين الحسينيات، والخيم ولوازم المبيت والأطعمة والأشربة، وكالأفراد الذين يتطوّعون لطبخ الولائم والأطعمة، لتجهيز المشروبات كالعصائر والشاي والقهوة وغيرها، ولتوزيعها على الزوار، وكالأفراد الذين يتطوعون لمساعدة الزوار وإرشادهم، والعوائل العراقية في شتى المحافظات التي تقدّم بيوتها للزائرين وتبذل لهم كل ما يحتاجونه...

ب. **العمل التطوّعيّ المؤسساتيّ**: إنّ العتبات المقدّسة لها الدور الأكبر والأبرز، فهي التي فتحت باب التطوع للجميع كلّ حسب اختصاصه وقدرته بغية المشاركة في الخدمة الحسينية، لاسيما العتبتين الحسينية والعباسية اللتين تقومان بجهود جبّارة في هذا المجال، وأعمالهما لا تقتصر على مدينة كربلاء المقدّسة بل تتوزع على الطرقات المؤدية إلى كربلاء أيضاً. كذلك هناك مشاركة فعالة للجمعيات من داخل العراق وخارجه في الأعمال التطوّعية عبر أفراد ينتمون إليها يقدّمون مختلف أنواع الخدمات للزائرين. بالإضافة إلى العمل التطوعي الإرشادي للمرجعيات الدينية من خلال تواجد ممثلين عنها ومبلغين يقدمون الإرشادات والإجابة على أسئلة الزائرين الفقهية والعقائدية وغيرها.

ثالثاً: تفعيل مبدأ التكافل الاجتماعي

التكافل الاجتماعي هو مبدأ دعا إليه الدين الإسلامي، وأكّد عليه (سبحانه وتعالى) في محكم كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام. قال (تعالى) في محكم كتابه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّه إِنَّ اللّه شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٢٤]. وقال (تعالى) في مورد آخر: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ المتّقُون﴾[٢٥].

والمراد بالتكافل والتعاون الإجتماعي مشاركة أفراد المجتمع في المحافظة على المصالح العامة والخاصة، ودفع المفاسد والأضرار المادية والمعنوية بحيث يشعر كلّ فرد فيه أنّه إلى جانب الحقوق التي له أن عليه واجبات للآخرين وخاصة الذين ليس باستطاعتهم أن يحقّقوا حاجاتهم الخاصة وذلك بإيصال المنافع إليهم ودفع الأضرار عنهم. فالمجتمع الذي يسوده التكافل والتعاون والإنفاق في سبيل الله (تعالى) ستسوده المحبة وتشتد فيه علاقات الأخوة الإسلامية ويكون مجتمعاً كما أراده الإمام الحسين عليه السلام، بينما المجتمع الذي لا تكافل فيه سيسيطر عليه الفقر والجهل والمرض ممّا يفتح أبواب الفساد والرذيلة. وتعتبر المجتمعات التي تعطي أهمية وقيمة لهذا المفهوم من المجتمعات الناجحة التي يحيا الإنسان فيها عزيزاً مكرماً. وكثيرة هي المجتمعات التي تفتقر لتطبيق هذا المفهوم والمبدأ الإسلامي الإنساني. ومن ميزات وأبعاد زيارة الأربعين، أنّها تدعو إلى نشر هذا المفهوم الإسلامي العظيم وتطبيقه عملياً، وذلك عبر كثرة أشكال التكافل الإجتماعي الحاصل في الزيارة المليونية على الطرقات أثناء السير في المواكب والحسينيات في كربلاء المقدسة، في العتبات المقدّسة للأئمة وأحفادهم عليهم السلام ومن خلال الجمعيات والمبادرات الفردية. فإنّ للتكافل الإجتماعي أشكال وصور متعدّدة، ولا تنحصر في التكافل المادي المعيشي بل تتعدّاه إلى كلّ تكافل وتعاون في كلّ خير وبذل للآخرين. ومن صور التكافل الحاصل في الزيارة المليونية:

أ. **التكافل الأدبي**: ويقصد به تبادل مشاعر التواصل الإيجابي، الحب، الرحمة والمعاملة الحسنة بين الناس.

وهذه الأمور ظاهرة بشكل جليّ في الأربعينية لدى كلّ من يُشارك فيها، بل هي من ركائزها. فيجد الزائر أنّ الجميع (خَدَمٌ، قيّمون، زوّار وغيرهم) يتبادلون مشاعر الاحترام، الحب، الرحمة والتعاون. فتسقط مشاعر الحقد والغيظ وتطغى عند الجميع مشاعر الود والتسامح في الله (تعالى) وتمنّي الخير للآخرين. فيطّبقون بأفعالهم وصيّة أمير المؤمنين وسيّد الوصيين علي عليه السلام: «وَعَلَيْكُمْ يَا بَنِيَّ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَاذُلِ وَالتَّبَارِّ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّقَاطُعَ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّفَرُّقَ وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ»[٢٦].

ب. **التكافل العلمي**: ويقصد به تعليم العالم للجاهل من دون مقابل من خلال إرشاده ونقل المعلومات الصحيحة وإزالة آثار الجهل عنه.

وحقيقة هذا الأمر أنّه هدف الأنبياء والأئمة عليهم السلام. ولقد ذكر الله (سبحانه وتعالى) ذلك في مُحكم كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٢٧]. فتجد في الزيارة كلّ أشكال التكافل العلمي، من مبادرات شخصية على صعيد الأفراد كالمبلغين والعلماء وأصحاب البصائر والمعرفة، إلى مؤسساتية على صعيد المؤسسات الدينية التوعوية كالعتبات المقدّسة خاصة العتبتين الحسينية والعباسية عبر القيّمين عليها وإرشاداتهم والبرامج المخصصة لرفع الجهل ونشر علوم أهل البيت عليهم السلام وكممثلي المرجعيات الدينية ووكلائهم.

ج. **التكافل العبادي**: ويقصد به التعاون على صعيد إقامة العبادات جماعة كصلاة الجمعة والجماعة، وإقامة الشعائر الحسينية المختلفة من مجالس عزاء حسينية وغيرها، وإقامة الأدعية المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام والدعاء للمؤمنين والمؤمنات والدعاء لتعجيل فرج مولانا صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف. وكلّ هذه العبادات تقام بأعداد ضخمة في أجواء زيارة الأربعين.

د. التكافل المعيشي: ويقصد به كفالة المجتمع ورعايته للفقراء، الأيتام، المرضى والمحتاجين، والاهتمام بمعيشتهم من طعام وكساء ومسكن واستشفاء وحاجات اجتماعية.

قال (سبحانه وتعالى): ﴿يسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّه بِهِ عَلِيمٌ﴾[٢٨]. سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن حق المؤمن على المؤمن قال: «إِنَّ مِنْ حَقِّ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ الْمَوَدَّةَ لَهُ فِي صَدْرِهِ وَالْمُوَاسَاةَ لَهُ فِي مَالِهِ وَالْخَلَفَ لَهُ فِي أَهْلِهِ..»[٢٩]. وتعتبر زيارة الأربعين المليونية من هذه الناحية خيرَ نموذج عملي للتكافل المعيشي يقتدى به. فكثيرة هي المساعدات المالية المعيشية التي توزع على المحتاجين والفقراء والمساكين حباً للإمام الحسين عليه السلام وتقرّباً إلى الله (تعالى)، كذلك عملية تكفّل الأيتام والمحتاجين. وهذه الأفعال الحسنة تعلّم كلّ من شارك بالزيارة أنّ هناك فئات من المجتمع الإسلامي يجب كفالتها ورعايتها رعاية خاصة على الصعيد المعيشي الإقتصادي، خاصةً من خلال تواجد ممثّلين عن الجمعيات الإنسانية والدينية الذين يقيمون حملات توعوية في هذا الجانب، كذلك حملات العتبات المقدّسة في الرعاية الاجتماعية. كلّ ذلك يؤدي إلى نشر ثقافة التكافل الإجتماعي المعيشي على مستوى جميع المتواجدين في الزيارة سواء داخل العراق وخارجه.

رابعاً: إنعدام العنصرية والتعصّب

إنّ زوار الأربعين ينتمون إلى شعوب وأعراق وديانات متعددة، فمنهم ذو البشرة البيضاء ومنهم ذو البشرة السمراء الداكنة، ومنهم الناطق باللغة العربية ومنهم الناطق باللاتينية والفارسية والانجليزية، ومنهم المسلم الشيعي والسني، ومنهم النصراني... وهذه التعددية بلحاظ القوميات، البلدان والشعوب يجمعها لواء واحد عنوانه «زوار أبي عبد الله الحسين عليه السلام». فلا تعصبات ولا تمييز، بل بالعكس فالجميع يمشي جنباً إلى جنب بكلّ حب واحترام، وبشكلٍ سلميّ وحضاريّ، ما عجزت عنه الدول الداعية إلى عدم العنصرية، وكذلك الاتفاقيات والبنود التي وضعتها الأمم المتحّدة حول حقوق الإنسان في هذا الشأن. وفي الحقيقة إن هذا الانسجام والتآلف بين الزوّار إنّما يعبّر عن مدى الوعي الموجود عندهم وأنّ الناس إما أخٌ لك في الدين أو نظيرٌ لك في الخلق. وهذا لا يتنافى مع قوله (تعالى): ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٣٠]، فإنّ الآية تدعو إلى قبول الآخر والتعارف بين الشعوب على أساس الأخلاقيات الإسلامية مع ذكر أفضلية للأتقى وذلك نتيجة لتقواه.

خامساً: إنتصار القيم المعنوية والأخلاقية على الماديات

إنّ معنى انتصار الدم على السيف يعني أنّ الانتصار حصل بشهادة الإمام الحسين عليه السلام، فكانت شهادة مفعمة بالبقاء والخلود، شهادة لا مثيل لها عبر تاريخ الانسانية وحاضرها ومستقبلها. شهادة ترجمت للبشرية بأنّ الحقّ هو المنتصر والباطل هو الزهوق. فانتصرت المبادئ والقيم الإسلامية الحقّة على التعلّق الدنيوي بالمال والعيال والسلطة. وهذا الأمر أخبرت عنه السيدة زينب عليها السلام في قسمها الشهير ليزيد عندما قالت: «فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم يناد المناد ألا لعنة الله على الظالمين»[٣١]. وهذا ما يراه المشارك في زيارة الأربعين، فإنّها حجّ للملايين إلى البقعة المباركة التي احتضنت أجساد الأطهار عليهم السلام، فتركوا وراءهم ضوضاء الحياة وضجيجها، أعمالهم، تجارتهم وبحثوا عن تقوية العلاقة والارتباط العميق بالإمام الحسين عليه السلام عبر زيارتهم ونداءاتهم الملبية المدوّية في أرجاء العراق كلّه. كلّ هذا إنّما هو تجسيد عمليّ لانتصار القيم المعنوية والأخلاقية على الماديات، لذا يمكن إعتبار زيارة الأربعين منهجاً عملياً للتربية الأخلاقية المعنوية المتجدّدة عبر استمرارها كلّ عام في عطاءاتها. ومن أبرز تلك الأمور المعنوية الأخلاقية التي تتجلى فيها:

أ. **حُسن الخلق**: ورد عَن الإمام زين العابدين عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أنّه قال: (قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله مَا يُوضَعُ فِي مِيزَانِ امْرِئٍ- يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَفْضَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ)[٣٢]. أمّا حدّ حُسن الخلق، فقد أخبر الإمام الصَّادق عليه السلام هو: (أن تلين جَانِبَكَ وتُطِيبُ كَلَامَكَ وَتَلْقَى أَخَاكَ بِبِشْرٍ حَسَنٍ)[٣٣].

وفي هذه الحياة المليئة بالضغوط والصعوبات والتحديات المادية، تجد الكثير من الناس يصدِر منها التصرفات المزعجة للآخرين كالتذمّر عليهم، القول السيء، القسوة في التعامل، عدم اللين وغيرها. فمثلاً تجد بعض الموظفين في حياتهم العملية اليومية يتذمرون من أمور تزعجهم كتذمّرهم من زحمة السير الخانقة على الطرقات، وتجد الزوج يتذمّر من زوجته في حال تأخرت في تحضير الطعام، وتجد الأم سريعة الانفعال على ولدها إن أخطأ وهكذا... ولكن كلّ هذه الأشكال لا تجدها في الزيارة المليونية. فبالرغم من تواجد الأعداد الكبيرة المليونية تجد الناس في مطار النجف الأشرف رغم الانتظار يتحلّون بأخلاق حسنة، وتجد سريع الانفعال يتحلى بالصبر والهدوء أثناء مسيره إلى كربلاء المقدسة، وتجد الرجل الذي لا يعجبه أي طعام يأكل خلال المسير حتى الطعام الذي لا يتناوله في بيته... كلّ هذا يدل على أن زيارة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام لاسيما في الأربعين تعلّم الجميع أنّ كل شيء فداء للإمام الحسين عليه السلام وأنّ عليهم أن يتحلّوا بأخلاقيات أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، فيتحسن الخُلق لأنّ المقصود أسمى من أي شيء، وذلك خلال مدة الزيارة من حين الخروج من المنزل حتّى العودة إلى ديارهم حيث يسعى الجميع زائرون وخداماً أن يتحلوا بالأخلاق الحسنة بغية التوفيق للزيارة وتسجيل أسمائهم في سجل الزائرين.

ب. **العطاء والسخاء وحسن الضيافة**: ما يشهده المرء من عطاءات وكرم وسخاء في زيارة الأربعين لا يجده في مكان آخر على وجه الكرة الأرضية، فلا مؤتمرات ولا مهرجانات ولا احتفالات ولا مناسبات ولا جمعيات خيرية مهما كانت عظيمة وسخية وضخمة تجد فيها عطاءات تضاهي عطاءات الزيارة المليونية.

فما يقدّم فيها من صور متعددة للكرم والجود يجعلها الحدث الأهم عالميّاً في العطاء من دون مقابل. الجميع يبذل، كباراً، صغاراً، شيوخاً، رجالاً ونساءً. فكم هم كثيرون الذين يدّخرون المال من عام إلى عام لكي يقيموا المجالس والولائم، كم هي كثيرة عطاءات المؤمنين لاسيما العراقيين في موسم الأربعين.. فإنّ العطاء والسخاء من مال، كسوة طعام، مساكن، مسح أحذية، تقديم خدمة الانترنت واهتمام بالضيوف، ضيوف الإمام الحسين عليه السلام هي من مظاهر الإحسان والسخاء. ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ ارْتَضَى لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً فَأَحْسِنُوا صُحْبَتَهُ بِالسَّخَاءِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ)[٣٤]. كم من مشهد يبكي الزائر حينما يرى أثناء مسيره إلى جنة الله (تعالى) على الأرض أنّ أصحاب المواكب تتزاحم لاستقباله واستضافته، بل البعض منهم تراه يدعوك بدموع العشق الحسيني لتناول وجبة الطعام أو كوب الشاي، أو حينما يسمع الزائر عبارة «هلا بزوار أبو السجاد»، أو عبارة «خادمك» من شيخ طاعن في السن. كلّ هذا هو عبارة عن نماذج راقية من حسن الضيافة، ودالّة على مكارم الأخلاق وعلامات الإيمان. ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (لَا يُضِيفُ الضَّيْفَ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ قِرَاءُ الضَّيْفِ وَحَدُّ الضِّيَافَةِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ فَوْقَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ)[٣٥]. فإنّ قراء الضيف هي من سمات الصالحين أليس كلّ تلك عطاءات على حب الإمام الحسين عليه السلام... إنّ هذه الزيارة العالمية أثبتت للعالم أجمع أن كلّ الدول عاجزة عن فعل ما يقوم به الموالون والمحبون للإمام الحسين عليه السلام.

ج. **التواضع**: من ميزات زيارة الأربعين بشكلها الحالي أنها تعلّم الزائر التواضع.

فالتواضع صفة مطلوبة عند جميع الديانات وهي سمة الأنبياء عليهم السلام والعظماء، فمن التواضع أَنْ تَرْضى بِالْمَجْلِسِ دُونَ الْمَجْلِسِ، وَأَنْ تُسَلِّمَ عَلى مَنْ تَلْقى، وَأَنْ تَتْرُكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كُنْتَ مُحِقّاً، ولَاتُحِبَّ أَنْ تُحْمَدَ عَلَى التَّقْوى[٣٦]، ومن التواضع أَنْ يَعْرِفَ الْمَرْءُ قَدْرَ نَفْسِهِ، فَيُنْزِلَهَا مَنْزِلَتَهَا بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، لَايُحِبُّ أَنْ يَأْتِيَ إِلى أَحَدٍ إِلَّا مِثْلَ مَا يُؤْتى إِلَيْهِ، إِنْ رَأى سَيِّئَةً دَرَأَهَا بِالْحَسَنَةِ، كَاظِمُ الْغَيْظِ، عَافٍ عَنِ النَّاسِ[٣٧]. وإنَّ التواضع يزيدُ صاحبَه رفعةً، فمنْ تواضعَ لله (تعالى) رفعه[٣٨]. فعندما يرى الزائر أنّ الكبير ورئيس العشيرة يخدمه على حبّ الإمام الحسين عليه السلام، وفي خيمة أخرى يجد أن من قدّم له الشاي هو كبير العشيرة، وهناك أثناء العروج تجد الجميع يخدم من دون تأفّف حتّى لو صدر من بعض الزوار بعض الأخطاء بسبب التعب أو الحرارة أو غير ذلك. هذا التواضع يعلم الكثير هذه الصفة مهما علا شأنه ويتعلّم أنْ يطبّقَه في حياته عند عودته إلى دياره.

د. **الإيثار والتضحية**: الإيثار صفة لا يتحلّى بها إلا صاحب الفضْل والأخلاق العالية. فإنّ بإيثار

الآخرين وتفضيلهم على النفس ينالُ الإنسان أعلى مراتب الكرم[٣٩].

وهذه الصفة تتجلى في أروع صورها في الزيارة الأربعينية. لا تفكير في النفس، بل كلّ ما يهُم المتواجد في هذه الزيارة من مشاية إلى كربلاء المقدّسة وخدّام المواكب والعتبات المقدّسة، رضا الإمام الحسين عليه السلام الذي هو رضا الله (عزّ وجلّ). فيبذلون كلّ ما عندهم من طاقات للآخرين دون أدنى تفكير أو تراجع أو تأفّف. فمنهم من يؤثر الآخرين في مكان مبيته، ومنهم في طعامه، ومنهم في تقديم الخدمات التي تُسعد قلب الزائر، حتّى أنّ البعض يؤثر الآخرين في وصولهم إلى الشباك المبارك فيفضّلون مرور الزوار على أنفسهم رغم شدّة شوقهم للوصول تحت قبة الإمام الحسين أو ضريح المولى العباس عليهما السلام.

هـ. العفّة والحياء: إنّ الغزو الثقافي في الآونة الأخيرة يسعى في الدرجة الأولى لضرب مفاهيم العفّة والحياء عند الناس، لاسيما عند المرأة المسلمة وبالأخص الشيعية.

فيسعى عبر زرع الأفكار المضرّة بالقيم الإسلامية وفي مقدّمتها ضرب الحياء ونشر ثقافة الانفتاح والتحرّر من جميع القيود لاسيما الحجاب الشرعي عند المرأة. إنّ الحياء مقرون بالإيمان كما ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: (الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ مَقْرُونَانِ فِي قَرَنٍ فَإِذَا ذَهَبَ أَحَدُهُمَا تَبِعَهُ صَاحِبُهُ)[٤٠]. والحياء حقيقة هو سبب العفة، فعلى قدر الحياء تكون العفة[٤١]. ويلاحظ أنّ زيارة الأربعين تلعب دوراً فعالاً في المحافظة على الحياء والعفة، على الحجاب الإسلامي الصحيح، من خلال تعريف الناس والزوار من هي عقيلة بني هاشم، فإنّ السيدة زينب عليها السلام هي شريكة الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء، هي أم المصائب التي ما رأت إلّا جميلاً لأن كل ما جرى كان بعين الله (تعالى). هي المرأة القدوة لكل إمرأة حرّة في العالم، هي التي أعطت البشرية الدروس والعبر في العفّة والحياء رغم الصعوبات والمآسي التي جرت عليها، وهذه المعرفة إنما تحصل في الزيارة عبر المجالس والمحاضرات، عبر اللطميات، عبر الإعلام المرئي والمسموع، ومن خلال ما تقوم به العتبات المقدسة من إرشادات للمرأة حول عفتها وحيائها وحجابها، ومن خلال البرامج التوعوية وغيرها من الوسائل.

و. الحب في الله (عزّ وجلّ): من يتأمل في زيارة الأربعين بشتّى أبعادها يجد أن المرجع في كلّ مميزات وعطاءات هذه الزيارة المباركة هو الحبّ.

فلا عطاء ولا إيثار ولا تضحيات ولاصبر من دون حب. فالحب هو منبع الخيرات والبركات. ورد عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «وهل الدين إلا الحب»[٤٢]. إنّه حبّ الإمام أبي عبد الله الحسين وحبّ أخيه أبي الفضل العباس عليهما السلام اللذيْن يدفعان بالناس إلى تجسيد أجمل وأقدس صور العطاءات والأخلاقيات الرفيعة، إلى ترك التعلّق بالدنيا والسعي إلى التكامل وتطهير النفس من شوائبها وسيئاتها. ورد عن أبي عبد الله الصَّادق عليه السلام: (من أَرَادَ الله بِهِ الْخَيْرَ قَذَفَ فِي قَلْبِهِ حُبَ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَحُبَّ زيارته)[٤٣]. فهذا الحب المقدّس يورث المرء حب الله (سبحانه وتعالى). وورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا»[٤٤]. هذا هو طريق الإمام الحسين عليه السلام، فلقد بذل (سلام الله عليه) كلّ ما لديه

لأجل الحقّ، لأجل رضا الله (تعالى)، فأعطاه (تعالى) حبّ الناس له، حبّ الوفود إليه، حبّ زيارته عليه السلام، حب أصحاب الضمائر الحيّة مسلمين وغيرهم، فأحبَّه كلّ من عرف قصته وما جرى عليه. وهذا الحبّ للإمام الحسين عليه السلام يعلّم قاصديه أنْ يسعوا لأنْ يكونوا كما أرادهـم، وأن يتحلوا بما تحلّى به أصحاب الإمام (عليه وعليهم السلام). ومن رزقه الله (سبحانه وتعالى) حبّ الأئمة عليهم السلام فقد أصابَ خيرَ الدنيا والآخرة، فقلد ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «فَإِنَّ فِي حُبِّ أَهْلِ بَيْتِي عشرون خَصْلَةً عَشْرٌ مِنْهَا فِي الدُّنْيَا وَعَشْرٌ مِنْهَا فِي الْآخِرَةِ أَمَّا الَّتِي فِي الدُّنْيَا فَالزُّهْدُ وَالْحِرْصُ عَلَى الْعَمَلِ وَالْوَرَعُ فِي الدِّينِ وَالرَّغْبَةُ فِي الْعِبَادَةِ وَالتَّوْبَةُ قَبْلَ الْمَوْتِ وَالنَّشَاطُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ وَالْيَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَالْحِفْظُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالتَّاسِعَةُ بُغْضُ الدُّنْيَا وَالْعَاشِرَةُ السَّخَاءُ، وَأَمَّا الَّتِي فِي الْآخِرَةِ فَلَا يُنْشَرُ لَهُ دِيوَانٌ وَلَا يُنْصَبُ لَهُ مِيزَانٌ وَيُعْطَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَيُكْتَبُ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَيَبْيَضُّ وَجْهُهُ وَيُكْسَى مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ وَيَشْفَعُ فِي مِائَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَيَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ وَيُتَوَّجُ مِنْ تِيجَانِ الْجَنَّةِ وَالْعَاشِرَةُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ فَطُوبَى لِمُحِبِّي أَهْلِ بَيْتِي»[٤٥].

سادساً: زيارة الأربعين معراج للإصلاح الإجتماعي المجدّد

إن زيارة الأربعين معراجٌ للإصلاح الإجتماعي المتجدّد، فإنّ الهدف الأوّل من توجّه الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق هو طلب الإصلاح في أمة جدّه صلى الله عليه وآله، فلقد ورد في وصيّة الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام لأخيه محمد المعروف بابن الحنفية ما يلي: «...أَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً وَلَا بَطِراً وَلَا مُفْسِداً وَلَا ظَالِماً وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي صلى الله عليه وآله أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ فَاللَّهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرُ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ»[٤٦]. ولا إصلاح من دون أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، فالمعروف يشمل كلّ ما هو حسن، والمنكر كلّ ما هو قبيح في نظر العقل والشرع. ودائرة المعروف والمنكر شاملة أيضاً لجميع الأبعاد في حياة الإنسان، فتشمل أفعاله، أقواله، عبادته، معاملته، عقيدته، أخلاقه، وعلاقته بمجتمعه؛ لذا فإنّ زيارة الأربعين يمكن اعتبارها تجسيداً عملياً لحركة الإصلاح التي دعا إليها أبو عبد الله الحسين عليه السلام، فإنّ حركة الإصلاح الحسيني المتمثلة في زحف الملايين هي حركة تتجدّد في كلّ عام، فتعرف البشرية جمعاء أنّ الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام أحياء ما زالوا يبذلون عطاءاتهم للناس، لمحبيهم، لقاصديهم، وما زال الحسين وسيبقى ما بقي الليل والنهار نوراً للهداية، مصباحاً للهدى، سفينةَ النجاة عبر الالتزام بمبادئه وأخلاقه واتخاذه القدوة الحسنة لكل مجتمعٍ أراد أن يحيا حياةً كريمةً عزيزة.

الخاتمة

شكّلت واقعة كربلاء عبر العصور مصدراً فياضاً في تعلّم الأخلاق والإقتداء بالأسوة الحسنة في طريق تزكية النفس على الصعيدين الفردي والاجتماعيّ لتحقيق الكرامة الإنسانيّة. فمازال الإمام الحسين

الشهيد عليه السلام تنهل البشرية من كرمه، ويفيض عليها من فيوضاته، في كلّ لحظة وفي كلّ عام لاسيما فيوضات وبركات زيارته عليه السلام في العشرين من صفر، خاصة بنموذجها الحالي حيث تستقطب الملايين من الوافدين من مختلف بقاع الأرض على مختلف فئاتهم وطوائفهم وثقافاتهم ومستوياتهم العلمية والثقافية وتوجههم سيراً على الأقدام بشكل سلمي حضاري إجتماعي إلى كربلاء الإمام الحسين عليه السلام.

ولقد أثبتت فعاليتها وآثارها العملية في عملية الإصلاح الحسيني مستمرة متجدّدة على كافة الأصعدة منها الإصلاح الإجتماعي الأخلاقي. فليست الزيارة عبارة عن تجمّع مليوني فحسب بل هي في حقيقتها تشكّل مجتمعاً حضارياً أخلاقياً إسلامياً يصلح لأن يكون منهجاً معتمداً في حياة المجتمعات والشعوب التي تسعى إلى الرقي والكمال نحو حياة أفضل يرضاها الله (تعالى) للإنسانية، وذلك عبر ما تقدّمه للبشرية من نماذج ومصاديق حيّة للإنسان الحسيني الحرّ وللمجتمع الحسيني العزيز.

ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث:

١. زيارة الإمام الحسين عليه السلام مستحبة شرعاً في كافة الأوقات.

٢. زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام مستحبة إستحباباً مؤكداً وهي إحدى علامات المؤمن الخمس.

٣. إنّ في المشي إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام ثواباً وأجراً عظيماً.

٤. إنّ لزيارة الأربعين أهمية عظيمة تتجلى فيما يلي:

أولاً: هي عبارة عن تجديد للعهد والولاء للرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

ثانياً: هي أكبر إمتثال علميّ زماني لإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام.

ثالثاً: تأتي في شهر الأحزان على النبي وآله الأطهار عليهم السلام وما له من آثار على قلب المؤمن.

رابعاً: إنّها الحدث الوحيد في العالم أجمع الذي يوحّد أكبر عدد من الناس تحت لواء واحد وشعار واحد هو (لبيك يا حسين).

خامساً: أنّها زيارة مليئة بالبركات والنفحات الإلهية وتمتاز بتعدّد أبعادها على شتّى الأصعدة.

٥. لزيارة الأربعين أبعاد أخلاقية وإجتماعية عديدة، تساهم سوياً في عملية رقي المجتمع الإسلامي عبر تحويل المفاهيم الحسنة عقلاً والمحمودة شرعاً إلى مصاديق تطبّق في حياة الإنسان. ومن تلك الأبعاد:

أولاً: التفاعل الفكري والمعرفي بين الحضارات والمجتمعات.

ثانياً: نشر ثقافة العمل التطوعي على المستويين الفردي والمؤسساتي.

ثالثاً: تفعيل التكافل الإجتماعي في شتّى المجالات منها التكافل الأدبي، التكافل العلمي، التكافل العبادي، والتكافل المعيشي الاقتصادي.

رابعاً: إنعدام العنصرية والتعصب بين الشعوب والمجتمعات والأعراق رغم الاختلاف فيما بينهم باللون، اللغة والبلد.

خامساً: إنتصار القيّم المعنوية والأخلاقية على الماديات لذا يمكن اعتبارها منهجاً عملياً للتربية

الأخلاقية. ومن أبرز القيم المتجلية فيها: حسن الخلق، **العطاء والسخاء وحسن الضيافة، التواضع، الإيثار والتضحية، العفة والحياء، والحب في الله (تعالى).**

سادساً: زيارة الأربعين معراج للإصلاح الإجتماعي المتجدّد.

وهناك بعض التوصيات التي يمكن أخذها بعين الاعتبار:

١. إنشاء مركز مختص يعنى بشؤون المرأة في زيارة الأربعين (مفاهيم الزيارة، التركيز على الحجاب الإسلامي وأبعاده الروحية).
٢. إستحداث مركز إسلامي مجازي مختص بترجمة وتأليف المقالات والبحوث باللغات الانجليزية والفرنسية بما يختص بزيارة الأربعين وإظهار مظلومية أهل البيت عليهم السلام.

السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك عليك مني سلامُ الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ولا جعله الله آخر العهد مني لزيارتكم السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين، والحمد لله ربّ العالمين.

الهوامش

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، ج١٦، ص٢١٠.

(٢) المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، ج٥، ص٣٨٣.

(٣) آل عمران: ١٦٩.

(٤) الكفعمي العاملي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين والدرع الحصين، ج١، ص٢٨٤.

(٥) الكفعمي، إبراهيم بن علي، المصباح، ص٤٩٠.

(٦) نفس المصدر، ص٤٩١.

(٧) راجع الحر العاملي، محمد بن حسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة،ج١٤، ص ٤٥٩- ٤٧٩.

(٨) نفس المصدر، ص. ٤٧٨.

(٩) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(١٠) راجع الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد، ج١، ص ٧٨٧؛ وراجع المفيد، محمد بن محمد، مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة، ج١، ص ٤٦.

(١١) الحر العاملي، محمد بن حسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة، ج١٤، ص٤٤٠.

(١٢) نفس المصدر، ص.٤٤١.

(١٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٤، ص٥٦٧.

(١٤) راجع ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، ص١٥١.

(١٥) راجع المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين، ج٥، ص٣٨٦.

(١٦) راجع ابن قولويه، جعفر بن محمد، م. س، ص١٥٢- ١٥٣.

(١٧) راجع نفس المصدر، ص١٦٤.

(١٨) راجع المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٨، ص٩٣.

(١٩) راجع الحر العاملي، محمد بن حسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة، ج١٤، ص٤٥٦.

(٢٠) الحر العاملي، محمد بن حسن، هداية الأمة إلى أحكام الأئمة عليهم السلام، ج٥، ص١٣٧.

(٢١) **See Geert Hofstede، Gert-Jan Hofstede، and**

Michael Minkov، Cultures and Organizations: «Software of the Mind»، (Mc GrawHill)،2010.

(٢٢) See John Wilson: "Volunteering"، Annual Review of Sociology، 14-8-2016.

(٢٣) وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، الإمارات العربية المتحدة، «أهداف وأشكال العمل التطوّعي»، بتصرّف. http://fonoon.gov.ae/VolunteerWorkObjectives.aspx

(٢٤) المائدة: ٢.

(٢٥) البقرة: ١٧٧.

(٢٦) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٧، ص٥٢.

(٢٧) الجمعة: ٢.

(٢٨) البقرة: ٢١٥.

(٢٩) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢، ص١٧١.

(٣٠) الحجرات: ١٣.

(٣١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٤٥، ص ١٣٥٢.

(٣٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢، ص٩٩.

(٣٣) ابن بابويه، محمد بن علي، معاني الأخبار، ص٢٣٥.

(٣٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢، ص٥٦.

(٣٥) ابن حيون، نعمان بن محمد المغربي، دعائم الإسلام، ج٢، ص١٠٦.

(٣٦) راجع الكليني، محمد بن يعقوب، م. س، ج٢، ص١٢٢.

(٣٧) راجع نفس المصدر، ص١٢٤.

(٣٨) راجع ابن شعبه حراني، حسن بن علي، تحف العقول، ص٤٦.

(٣٩) راجع الحلواني، حسين بن محمد بن حسن بن نصر، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، ص٤٤.

(٤٠) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢، ص١٠٦.

(٤١) الري شهري، محمد، ميزان الحكمة، ج٢، ص٧١٧.

(٤٢) ابن بابويه، محمد بن علي، الخصال، ج١، ص٢١.

(٤٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، ص١٤٢.

(٤٤) نفس المصدر، ص٥٢.

(٤٥) ابن بابويه، محمد بن علي، م.س، ج٢، ص٥١٥.

(٤٦) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن بابويه، محمد بن علي، الخصال، جامعة المدرسين، قم المقدسة – إيران، ط١، ١٣٦٢ش.

٢. ابن بابويه، محمد بن علي، معاني الأخبار، قم المقدسة– إيران، ط١، ١٤٠٣ هـ.

٣. ابن حيون، نعمان بن محمد المغربي، دعائم الإسلام، مؤسسة آل البيت، قم المقدسة – إيران، ط٢، ١٣٨٥هـ.

٤. ابن شعبه الحراني، حسن بن علي، تحف العقول، جامعة المدرسين، قم المقدسة – إيران، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٥. ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، دار المرتضوية، النجف الأشرف– العراق، ط ١، ١٣٥٦ش.

٦. الحر العاملي، محمد بن حسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة، مؤسسة آل البيت، إيران– قم المقدسة، ط١، ١٤٠٩هـ.

٧. الحر العاملي، محمد بن حسن، هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، مجمع البحوث العلمية التابع للعتبة الرضوية، مشهد المقدّسة–إيران، لا. ط، ١٤١٤هـ.

٨. الحلواني، حسين بن محمد بن حسن بن نصر، نزهة

الناظر وتنبيه الخاطر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم المقدسة – إيران، ط١، ١٤٠٨ هـ.

٩. الري شهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، قم المقدسة – إيران،لا. ط، ١٣٨٩ ش.

١٠. الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت–لبنان، ط١، ١٤١١هـ.

١١. الكفعمي العاملي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين والدرع الحصين، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت–لبنان، لا.ط، ١٤١٤هـ.

١٢. الكفعمي العاملي، إبراهيم بن علي، المصباح، دار الرضي، إيران–قم المقدسة، ط٢، ١٤٠٥هـ.

١٣. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية، إيران–قم المقدسة، ط٤، ١٤٠٧هـ.

١٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، لا. ط، ١٤٠٣هـ.

١٥. المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، مؤسسة فرهنكي إسلامي، إيران – قم المقدسة، ط٢، ١٤٠٦هـ.

١٦. المفيد، محمد بن محمد، مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة، دار المفيد للطباعة، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ.

١٧. وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، الإمارات العربية المتحدة، أهداف وأشكال العمل التطوعي.

١٨. **http://fonoon.gov.ae/VolunteerWork Objectives.aspx**

١٩. **Geert Hofstede، Gert-Jan Hofstede، and Michael Minkov، Cultures and Organizations، Software of the Mind، (McGrawHill(،2010**

٢٠. **Jhon Wilson، Volunteering، Annual Review of Sociology، 7-11-2016.**

٢١. عاشوراء الحسين، ماض متألق ومستقبل مشرق: مركز كربلاء للدراسات والبحوث.

٢٢. الموروثات والشعائر في كربلاء: سلمان هادي آل طعمة، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٣. صناعتنا الشعبية: عامر رشيد السامرائي، عبد الحميد الدملوجي، مجلة التراث الشعبي، (د.ع)، بغداد، ١٩٦٨م.

٢٤. زيارة الأربعين دلالات وآفاق: محمد عبد الرضا هادي الساعدي.

٢٥. تنبيه الخواطر ونزهة المناظر: الحسيني ورام بن ابي فراس المالكي الاشتري، طبعه طهران سنة ١٣٠٩هـ.

٢٦. المزار الكبير تأليف: الشيخ ابو عبد الله محمد بن جعفر بن المشهدي تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي الطبعة: الاولى ١٤١٩هـ

٢٧. بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة محمد باقر المجلسي، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الناشر: احياء الكتب الإسلامية، سنة الطبع: ١٤٠٣ – ١٩٨٣ م.